حركة التحرير الوطني
الفلسطيني
(فتح)

حرب الشعب

(9)

دراسات استراتيجية

حرب الشعب

الأهداف:

التعرف على حرب الشعب كاسلوب من اساليب النضال من خلال:

- المفهوم العام لحرب الشعب.
- العلاقة بين حرب الشعب والحرب النظامية.
- خصائص حرب الشعب.
- مراحل حرب الشعب.
- القضية الفلسطينية وحرب الشعب.
- دور المنظمات الشعبية في حرب الشعب.
- الاثار الاجتماعية الناتجة عن حرب الشعب.

من اساليب النضال
حرب الشعب

من المهم جدا ان يتعرف الكادرالثوري على اساليب النضال ومجالاته المتعددة حتى يكون جاهزا ومستعدا للانخراط في اي مجال او موقع ترى قيادة الثورة او تنظيمه السياسي ضرورة تواجده فيه.

ولعل من اهم اساليب النضال- بل اهمها على الاطلاق- "حرب الشعب" لذلك- ومن اجل ان تستمر الثورة حتى النصر- فلا بد من ترسيخ مفهوم حرب الشعب لدى الجميع لاننا لن نحرر فلسطين ولن ننجز مهمات الثورة الا بحرب الشعب.

وفي هذه المحاضرة سوف نحاول التعرف على حرب الشعب كاسلوب من اساليب النضال من خلال ما يلي:

1. المفهوم العام لحرب الشعب.
2. الفرق بين قوات حرب وقوات الجيش النظامي التقليدي والتعاون بينهما.
3. خصائص حرب الشعب.
4. القضية الفلسطينية وحرب الشعب.

5. دور المنظمات الجماهيرية الشعبية في حرب الشعب ومهماتها.

ومن الطبيعي ان لا يكفي وقت المحاضرة لايضاح جميع هذه القضايا واعطائها حقها من الشرح والتفصيل، غير اننا سوف نحاول ما استطعنا الى ذلك سبيلا مستعينين بالمراجع المتوفرة لدينا والتي تتناول هذه المواضيع والقضايا.

المفهوم العام لحرب الشعب:

حين توجد قوة اجنبية غازية، مزودة باحدث ما انتجته المصانع الحربيةمن ادوات الفتك والدمار، ويوجد شعب مجرد من السلاح بعد هزيمة قواته النظامية، كيف يتصرف هذا الشعب في مواجهة قوات الغزو؟

هل ينتظر حتى يعيد تشكيل قواته النظامية؟

ام هل يبدأ بمقاومة الغزو، من الصفر، ويقوم بحرب شاملة واسعة النطاق يشارك فيها كافة افراده؟ بالطبع، اذا كان شعبا حيا وذا اصالة فلا بد ن ان يقوم بالحرب الشاملة واسعة النطاق التي يشارك فيها الجميع.

هذه الحرب الشاملة واسعة النطاق تسمى "حرب الشعب" وقد سميت كذلك لسببين اثنين:

اولهما:- لان جماهيرالشعب هي مادتها وهي التي تصنع الحرب وتقودها.

وثانيها:- لان الهدف الاساسي من هذه الحرب هو خدمة جماهير الشعب.

وتعتمد حرب الشعب على تجنيد كامل طاقات الجماهير والاستفادة منها بعد تنظيمها وتثقيفها وتعبئتها لصالح تقويض جبهة العدو تفتيتها.

وحرب الشعب حرب ثورية طويلة الامد لا ينحصر النضال من خلالها في الامور العسكرية البحتة، بل يشمل ايضا النضال السياسي والنضال الاجتماعي، وتطوير قيم ومسلكية الفرد بالاضافة الى تطوير قدرات الجماعة الثقافية والمهنية لتزيد من عطائها وخدمتها لمتطلبات الحرب والثورة.

الفرق بين قوات حرب الشعب وقوات الجيش النظامي التقليدي والتعاون بينهما:

قبل ان نتحدث عن الفرق بين قوات حرب الشعب وقوات الجيش النظامي التقليدي لابد ان نعرف متى تقوم حرب الشعب ومتى تقوم الحرب النظامية.

تقوم حرب الشعب في عدة حالات، نذكر منها:

1. عندما يكون هناك شعب مضطهد وليس له جيش نظامي يحميه ويدافع عن مصالحه.
2. عندما يهزم جيش وطني امام قوى خارجية او امام مؤامرة داخلية فيضطر هذا الجيش الى لتفرق ويبدأ حربا شعبية ضد الغزاة.
3. عندما تكون هناك حكومة ثورية، تعد الجماهير وتنظمها وتسلحها لمواجهة الغزاة الاجانب والاعداء الداخلين مثل الجيش الشعبي لنكاراغوا "الولايات المتحدة والكونترا".

4. عندما يكون هنالك بلد متخلف يواجه دولة عظمى لا يستطيع مواجهتها بحرب نظامية بسبب التفوق الهائل بالاسلحة كما حدث في الحرب الفيتنامية فرنسا اولا والولايات المتحدة ثانيا.

اما الحرب النظامية فانها تقوم في الحالات التالية:

1. عندما تعتدي دولة ما على سيادة دولة اخرى.
2. عندما تشعر دولة ما ان مصالحها الاقتصادية في منطقة معينة، مهددة من دولة اخرى منافسة، ولم تجد المحادثات السلمية لحل الاشكال بينهما نفعا.
3. عندما تحتل دولة ما جزءا من ارض دولة اخرى مجاورة.
4. عندما تخرق دولة ما الاتفاقيات السياسية المبرمة مع دولة اخرى.
5. عندما تشعردولة ما بالتفوق العسكري والاقتصادي، والعرقي ولا تجد عندالدولة الاخرى رادعا يمنعها من استعمال هذا التفوق لبسط السيطرة والنفوذ على الدول المجاورة واخضاعها لارادتها.

هذه بعض الحالات التي تقوم بها حرب الشعب والحرب النظامية ولكن ما الفرق بين قوات حرب الشعب والجيش النظامي التقليدي؟

هناك عدة فروق سنذكرها بايجاز:

1. الفرق الاول فرق في التكوين، فقوات حرب الشعب قوات من المتطوعين، اي انها جاءت تطوعا وهي بالتالي ليست قواتا من الموظفين "او المجندين تجنيدا اجباريا انها قوات جاءت الى القواعد والتزمت بالقتال لان افرادها آمنوا بقضية عادلة، تناضل الجماهير من اجلها. اما الجيش النظامي فينشأ عن طريق الاحتراف والتوظيف او عن طريق الاحتراف والتجنيد او عن طريق الحالتين معا.
2. الفرق الثاني فرق في التشكيل فقوات حرب الشعب وحدات صغيرة، تكبر نسبيا بمقدار ما تتحول الى قوات جيش شعبي، ولكنها تكون في الحالتين اصغر من وحدات الجيش النظامي لانها تقاتل على اساس مبادىء حرب الشعب، فان هذا لا يعني كتيبة بالمعنى النظامي. وعدد افراد الكتيبة في حرب الشعب يختلف من مكان لآخر ومن وقت لاخر.وهذا ينطبق على اللواء وعلى الفرقة. كما ان العدد يختلف من مرحلة الى مرحلة ومن وقت الى آخر.
3. الفرق الثالث فرق في النظام، ان قوات حرب الشعب تخضع لخط استراتيجي سياسي وعسكري واحد، ولكنها لا تخضع لنظام موحد في التدريب والتسليح والحياة اليومية، بينما تخضع القوات النظامية لمركزية حديدية تبدأ من القضايا الاساسية وتنتهي بقضايا الاكل والنوم واللباس وحلاقة الذقن وتلميع "البسطار". ان قوات حرب الشعب تحط او ترحل، تتفرق او تتجمع، تكمن او تهاجم حسب ما تراه مناسبا ضمن خطها العام واستراتيجيتها. وهي تخضع اكلها ونومها وحياتها اليومية لظروف القتال، ولعلاقتها مع الجماهير، وليس اتصالها بالمركز او غيره.
4. الفرق الرابع فرق في العلاقات الداخلية فقوات حرب الشعب قوات مناضلين ثوريين يحبون بعضهم بعضا ويحترمون بعضهم بعضا، الاساس في انضباطهم هو القناعة او الالتزام.

اما القوات النظامية التقليدية فتقوم على اساس تسلسل الرتب العسكرية وانعدام العلاقات الاخوية والنضالية.

5. الفرق الخامس فرق في التسليح فقوات حرب الشعب قوات مشاة في الاساس، وتبقى كذلك حتى لو تحولت الى قوات جيش شعب، شبه نظامية. اما الجيش النظامي فهو جيش اسلحة:- مشاة ومشاة محمولة، طيران، مدرعات، مدفعية، هندسة، بحرية، وصواريخ وتتطور الجيوش النظامية في هذه الايام تطورا يتجه نحو الغاء المشاة واستبدالهم بالقوات المحمولة برا وجوا.

وسلاح المشاة عادة سلاح خفيف وهو سلاح يعتمد اساسا على الرشاشات بكل انواعها، والقنابل اليدوية، والمضادات للدروع والالغام والمضادات للطائرات حسب امكانية توفرها والهاونات وبعض الصواريخ. وهناك بعض المدافع الخفيفة التي يمكن نقلها مثل مدفع 75 ملم الذي يستخدم ضد المدرعات والآليات عموما.

ان قوات حرب الشعب لا تستطيع ان تستخدم المدافع الثقيلة الثابتة او المحمولة، لان مثل هذه المدافع لا بد ان تكشف، كما لا يمكن نقلها الا بوسائط معينة وضمن طرق محددة، بينما تتحرك قوات الشعب في كل مكان وتتحرك اساسا في الطرق التي لا تستطيع استخدامها السيارات او التي من الصعب ان تتحرك فيها.

6. الفرق السادس فرق في التكتيك. فالجيش النظامي يقوم بحملات واسعة، ينظم حملات كبيرة على مستوى الجيوش والفيالق والفرق والالوية بينما تقوم قوات حرب الشعب بمعارك على مستوى المجموعات الصغيرة. ولا تستطيع ان تقوم بمعارك طويلة الا في ظروف محددة واذا قامت بمثل هذه المعارك فانها تقوم بها على اساس تجميع القوات بطريقة معينة، وهذ يعني ان تتجمع خفية وبسرعة وان تضرب بسرعة وتتفرق خوفا من ان يتمكن العدو من محاصرتها والقضاء عليها وابادتها.

ان قوات حرب الشعب تستخدم اسلوب اضرب واهرب مثلا ولكن الجيوش النظامية لا يمكن ان تستخدم هذا الاسلوب.

قد يكون للجيش النظامي في الحرب مواقع مكشوفة يبحث عن العدو اينما كان يتحرك على جبهة واسعة وبقوات تبلغ عشرات الالوف او مئات الالوف. وكلما اتسع نطاق الحرب كلما كانت امكانات المفاجأة اقل من الميدان. وكلما شارك في القتال عدد اكبر من الجنود، كلما تجاوزت الحرب ان تكون قضية مفاجأة، واصبحت قضية قدرة على استخدام القوة البشرية والنازية من اجل اخضاع العدو.

هذا التكتيك لا يستخدم في حرب الشعب، فقوات حرب الشعب تهاجم العدو في المكان الذي تختاره. فلو فرضنا ان هناك فرقة معادية ترابط في مكان ما فان قوات حرب الشعب لا تذهب لتهاجم الفرقة كاملة وفي مكان تمركزها. انها قد تقيم كمينا لدورية من دوريات الفرقة وهي تتحرك على طريق يسهل ضربها فيه وقد تهاجم قوافل امدادها، وقد تختار موقع او عدة مواقع من مواقع الفرقة يسهل الوصول اليها وتدميرها والانسحاب. وتستطيع قوات حرب الشعب عن طريق ضرب الدوريات وقوافل الامداد والهجمات الصاعقة ان تشل الفرقة ماديا ومعنويا. اما اذا اراد الجيش النظامي ان يتعامل مع هذه الفرقة، فسوف يستخدم كل الاسلحة.

وقد يستخدم الطيران والمدفعية لايقاع خسائر كبيرة وجسيمة في جسم الفرقة، ثم يرسل قوات اكبر منها اضعافا لمحاصرتها وتدميرها. ولا تنتظر قيادة الجيش النظامي حتى تتحرك الفرقة مثلا. انها تحدد المكان وحجم القوة ثم تحدد طريقة الهجوم وتنفذ. وهذا يجعل الجيش النظامي

يعتمد على العدد والعدة اكثر من قوات حرب الشعب ويجعله لا يستفيد من البيئة والتضاريس كما تستفيد منها قوات حرب الشعب.

7. الفرق السابع فرق في التربية السياسية. ان القوات التقليدية عادة قوات منفصلة عن الجماهير، وهي لا تقاتل بالجماهير ولا تحس انها مطالبة بأن تهتم بقضايا الجماهير ومشاكلها، ولا تحس انها مسؤولة عن توحيد قتالها مع نضال الجماهير اما قوات حرب الشعب فهي قوات منبثقة من قلب الجماهير، معبرة عن مالحها ومطامحها، مرباة على احترامها والثقة بها ومكونة على اساس ان قتالها ذو طابع سياسي، وانها ما لم توحد هذا القتال مع نضال الجماهير فان النصر لن يكون مضمونا.

في حرب الشعب تكون القوة السياسية هي عامل الحسم، بينما عامل الحسم في الحرب النظامية هو عامل عسكري اي معادلات القوة وحسن استخدامها.

خصائص حرب الشعب:

ان لحرب الشعب خصائص تميزها عن الحروب الاخرى كالحرب النظامية او الحرب الاقتصادية او الحرب الباردة، ومن اهم خصائص حرب الشعب ما يلي:

1. ان "الانسان وليس السلاح ولا التكتيك ولا التكنولوجيا هو العنصر الاساسي في حرب الشعب. وعندما نقول الانسان فاننا لا نعني الفرد" وانما نعني "الفرد والجماهير". فحرب الشعب تعتمد على المقاتل الواعي من جهة وعلى تأييد الجماهير والتفافها حول هذا المقاتل وقيادته من جهة اخرى.
2. ان حرب الشعب حرب طويلة المدى ولا يمكن لها الا ان تكون كذلك، بسبب ان الجماهير هي التي تنشيء جيشها الشعبي الذي يبدأ بالطلائع ثم بالخلايا ثم بالمجموعات الى ان يشمل الشعب كله، وهذا يتطلب عملا متواصلا ودؤوبا يشمل -بالاضافة الى اعداد الانسان المقاتل- تعبئة الجماهير تعبئة ثورية وكذلك كيفية الحصول على السلاح الذي سيستخدمه هذا الانسان المقاتل خاصة وان العدو الذي سيقابله عدو متفوق عدديا وتكنولوجيا وماليا ومتفوق في التدريب والتسليح ايضا.
3. ان حرب الشعب حرب شاملة، اي انها تشمل كل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية واذا اردنا ان نحرر انفسنا من سيطرة العدو فلابد ان نضربه في كل المجالات، لا بد ان نستنزف قواته العسكرية ونعمل على ابادتها، ولا بد ان نعزله عن الجماهير في الداخل ونشل علاقاته في الخارج ولا بد ان نكشف زيف ثقافته ونحرر جماهير الشعب منها وكذلك لا بد من تدمير منشآته الاقتصادية وتعطيل استثمار ثرواته الطبيعية وايقاف استخراجها.
4. ان حرب الشعب تحتاج الى خط سياسي وعسكري واضح وسليم وذلك حتى تتمكن من التقدم والنجاح في تعبئة الجماهير وبالتالي هزيمة العدو والخط السياسي الواضح والسليم يعني ما يلي:
   - **اولا:-** تحليل التناقضات في المجتمع تحليلا صحيحا، وتحديد طبيعة كل منها من حيث كونها اساسية او رئيسية او ثانوية.
   - **ثانيا:-** تحديد الاعداء الاساسيين والرئسيين والثانويين.

- **ثالثا:-** تحديد سياسة التحالفات والمبادىء التي تقوم عليها.
- **رابعا:-** تحديد الاهداف بدقة.
- **خامسا:-** تحديد نظرية العمل.

ويعني الخط العسكري تحديد المهمات الاستراتيجية للعمل المسلح والمهمات التكتيكية، بشكل عام، وفي كل مرحلة. وهذا يعني تحديد المراحل، وتحديد بداية كل مرحلة ونهايتها. كما يعني تحديد كيفية الانتقال من مرحلة الى مرحلة وعلى الخط العسكري ان يجيب على هذه الاسئلة:

- ما هو الخط العسكري الاستراتيجي لهذه المرحلة او تلك؟ هل هو هجمات واسعة النطاق او عمليات صغيرة؟ هل عمليات التخريب والكمائن معا؟ هل هو عمليات حدود او عمليات في العمق ام هذه وتلك معا؟
- هل يجوز تشكيل الكتائب والالوية والفرق والجيوش ومتى وكيف؟
- متى ننتقل من مرحلة المجموعة المكونة من عشرين او خمسة وعشرين الى مرحلة الوحدة المكونة من مائة والكتيبة المكونة من مئات واللواء المكون من آلاف؟؟؟

وتحدد كل هذه الامور حسب الواقع المحسوس وتطور القوى ونوع العمليات المطلوبة.

ويحدد الخط العسكري، ايضا، علاقات المراتب العسكرية بعضها بالبعض الاخر، وعلاقة المناطق والوحدات والمجموعات بالمركز وكذلك دور القوات النظامية ودور القوات الشعبية وشبه النظامية عندما يتطور حجم القتال.

ويحتاج الخط السياسي والعسكري الواضح والسليم الى قيادة ثورية ذات وعي نفاذ وجرأة عالية وقدرة على التخطيط والتحليل والتقويم والاستنتاج والاستنباط، وقيادة القتال والنضال وتحمل المشاق والالتحام مع الجماهير. ان مثل هذه القيادة تقود الى النصر المؤزر، بينما القيادة العاجزة لا تستطيع ان تصنع قوات ثورية مقاتلة وبالتالي لا تستطيع ان تخوض معارك ناجحة وحتما ستقود الجماهير الى الهزائم.

5. ان حرب الشعب حرب سياسية اساسا. ومع ان كل حرب هي اصلا استمرار للسياسة بوسائل اخرى، فان السياسة في حرب الشعب هي اساسها وروحها والعامل الحاسم فيها. ان كل ما في حرب الشعب سياسة حتى القتال.
6. ان حرب الشعب حرب ديناميكية ومتحركة. فاذا ما وصلت الى شكل من الاستقرار اي اذا ارتضت لنفسها قواعد ثابتة، بدون موجب (بدون تحرير ارض ومناطق مثلا) او اذا خملت وتراخت وتباطأت حركة القواعد فان هذا يعني ضربات متلاحقة من العدو، ويعني خسائر عسكرية وخسائر سياسية.

ان حرب الشعب تحتاج الى اليقظة دائما والى الحركة دائما والى الروح الهجومية دائما والا اخذت بالتقلص والاندحار.

ان الثورة هي فن الهجوم. وهذا لا يعني انه ليس هناك دفاع في الثورات فالدفاع شكل من اشكال الهجوم وهو وسيلة للمحافظة على القوى واعدادها من اجل الهجوم. ويجب ان نفرق بين الدفاع والهجوم في عمليات القتال ولين الروح الهجومية في الثورة ان الروح الهجومية هي روح الثورة واساسها

ولكن الهجوم والدفاع هما شكلا قتاليا واذا كان الهجوم في الثورة هو الاساس، فان الدفاع شكل اخر. وعلينا ان نعرف كيف نستخدم شكلي القتال هذين في المكان والزمان المناسبين، ولكن ونحن نملك الروح الهجومية.

ان الديناميكية ليست نشاطا فقط، وليست فعالية فقط، انها ابداع وفطنة ايضا. انها فن اطلاق فعالية الجماهير وعبقريتها من اجل اكتشاف كل اساليب القتال الناجحة لقهر العدو.

ان الجماهير تملك طاقات خلاقة من حيث القوة والفعالية ومن حيث الفطنة والابداع وعلى الحرب الشعبية ان تستفيد من كل هذه الطاقات استفادة قصوى.

القضايا الاساسية في حرب الشعب:

هناك اربع قضايا اساسية في حرب الشعب لا بد من التعرف عليها ودراستها جيدا:

- **القضية الاولى:-** الايمان بالهدف وتعبئة المقاتلين والمناضلين والجماهير حوله. وما دام العامل السياسي هو العامل الحاسم في حرب الشعب، فان القوة المعنوية اهم القوى. والقوة المعنوية لا تكون الا بالتعبئة الثورية الواعية المنظمة الخلاقة. وكلما تعمق الايمان بالهدف لدى المقاتلين والمناضلين ولدى الجماهير وزادت رقعة القطاعات الجماهيرية المعبأة فكلما زادت الثورة قوة وجبروتا واندفاعا.
- **القضية الثانية:-** وحدة القيادات والقواعد، الضباط والجنود، المراتب الاعلى والمراتب الادنى. ان هذه الوحدة تجعل اداة الثورة جسما واحدا وتزيد بالتالي من فعاليتها وقدرتها على المجابهة والحسم. واذا لم تتحقق هذه الوحدة ستتعثر حرب الشعب وستتعرض لانحرافات خطيرة.
- ان عدم وجود الوحدة بين قيادات الثورة وقواعدها يشكل مقتلا لحرب الشعب، فلا بد للقيادة ان تتفهم مطالب القواعد وتستمع للقوات وتتعلم منها وتحل مشاكلها وقضاياها والا وجدت القيادة نفسها في واد والقواعد والقوات في واد آخر وكانت الكارثة.
- **القضية الثالثة:-** وحدة اداة الثورة والجماهير. فاذا لم تتحقق هذه الوحدة ستعزل طلائع الثورة وتختنق. ولقد قال ماوتسي تونغ:- "ان الجماهير بالنسبة لقوات حرب الشعب كالماء بالنسبة للسمك". وهذه موضوعة لا يمكن النقاش فيها ولقد اثبتت كل وقائع التاريخ هذه الحقيقة، وحيثما تعزل قوات حرب الشعب وتبتعد عن الجماهير يكون من السهل القضاء عليها.
- **القضية الرابعة:-** ضرورة تحطيم وحدة العدو الداخلية وعزله خارجيا. وذلك عن طريق اثارة النزاعات والخلافات بين افراده وتحريض الجماهير على القيادات وبث الشائعات واثارة النعرات العرقية والطائفية وافقاده الاصدقاء في الخارج وتحييد الجهات التي تقف الى جانبه في طروحاته السياسية.
- وكل هذا لا يتأتى الا بعد دراسة واعية للمجتمع المعادي وتخطيط مسبق يعتمد على الحقائق والاسلوب العلمي في التطبيق والمتابعة.
-

اشكال القتال في حرب الشعب:

ان اشكال القتال في حرب الشعب كثيرة ومتنوعة لا يمكن حصرها. ولا يجوز اعطاء وصفات فيها خارج اطار القوانين العامة. فهناك عدد من العوامل التي تحدد اساليب القتال واشكاله. ومن هذه العوامل:

- البيئة:- المجمع البشري.
- التضاريس:- طبيعة الارض.
- المرحلة التي تعيشها الثورة نوع تنظيمها واسلحتها.
- العدو:- طبيعته، قوته، اسلحته.

ان اشكال القتال في حرب الشعب ليست هي اشكال القتال في الحرب النظامية.

ان الحرب بالنسبة للجيوش النظامية علم عسكري:- استعداد، هجوم، تطويق، تقريب مباشر او غير مباشر. ولكن الحرب في حرب الشعب عمل سياسي اشكاله ثلاثة:

- الشكل الاول:- العمل المسلح.
- الشكل الثاني:- تعبئة الجماهير وخوض النضالات السياسية المتنوعة.
- الشكل الثالث:- التحريض في صفوف العدو:- قواته، جماهيره، وطبقاته الحاكمة.

وهذه الا شكال متداخلة، ويعتمد الواحد منها على الا خر. ولا يجوز الا ستغناء بواحد منها عن الاشكال الاخرى. وهذا يعني ان علينا ان نطور عملنا السياسي في اوساط الجماهير، وان نطور اساليب تحريضنا في اوساط العدو. بينما نقوم في نفس الوقت بالعمل المسلح. ويؤكد الجنرال جياب ان الكفاح المسلح شكل اساسي للكفاح، وانه يلعب الدور الحاسم بينما يؤكد ان النضال السياسي شكل اساسي آخر للنضال. وانه اساس تنمية النضال المسلح واسلوب للهجوم على العدو وهو يؤكد ايضا ان جوهر الحرب الشعبية يقوم على اساس تضافر القوى السياسية والقوى المسلحة اقتران الكفاح المسلح بالكفاح السياسي والانتفاضات الجماهيرية بالحرب الثورية وحرب الشعب بالحرب النظامية.

مراحب حرب الشعب:

تختلف مراحل القتال من ثورة الى اخرى ولكن الصينيين والفيتناميين حصروها في ثلاث مراحل وهذه المراحل الثلاث هي تنطبق على حالة معينة ولكنها لا تنطبق على كل الحالات. فقد تصل ثورة ما الى مرحلة ثم تتراجع الى مرحلة ادنى منها. يقول الفيتناميون ان هذه المراحل الثلاث هي:

- مرحلة الدفاع الاستراتيجي.
- مرحلة توازن القوى.
- مرحلة الهجوم المضاد الاستراتيجي العام.

وهذا يعني ان الثورة تكون في المرحلة الا ولى في مرحلة دفاع لان عدد المقاتلين يكون قليلا والامكانات قليلة ولان العدو هو الذي يأخذ زمام المبادرة بالهجوم لانه يملك العدة والعدد والتفوق.

ان مرحلة الدفاع لا تعني ان قوات حرب الشعب تأخذ مواقع دفاعية انها مهاجمة تكتيكيا، ومبادرة في عملياتها ولكنها من الناحية الاستراتيجية في حالة دفاع.

اما في المرحلة الثانية فان الثورة تنتقل الى حالة التوازن لان قواها تنمو، وتصبح قادرة على ان تخلق حالة التوازن هذه. الثورة تهاجم والعدو يهاجم، الثورة تدافع والعدو يدافع، الثورة تسيطر على مواقع والعدو يسيطر على مواقع ومناطق، الثور تسير الحملات والعدو يسير الحملات وتهيىء الثورة في المرحلة الثالثة قواها للهجوم المضاد الاستراتيجي العام وتجبر العدو على ان يتخذ موقف الدفاع.

وكما قلنا فليس من المحتم ان تمر كل الثورات بهذه المراحل متتابعة فقد تصادفها بعض التعرجات والذبذبات وقد تصل ثورة من الثورات مرحلة ثم تتراجع لسبب او لآخر. ولكن ارادة الشعب لا بد اخيرا ان تنتصر.

القضية الفلسطينية وحرب الشعب:

قبل انطلاق الانتفاضة المباركة وترسيخها في ارضنا المحتلة انتشرت دعاوي مغرضة مفادها ان فلسطين بلد صغير لا يوجد فيه جبال او صخور او غابات ولا تساعد تضاريسها على قيام حرب شعب ناجحة. وكان الهدف من هذه الدعاوي استبعاد حرب الشعب في فلسطين والتقليل من اهميتها وجدواها. وكان ردنا دائما:- ان التجارب التاريخية اثبتت ان اي شعب صغيرا كان ام كبيرا يسكن الصحراء او السهول او الجبال، يستطيع ان يشن حربا شعبية ويستطيع ان ينتصر فيها اذا استخدم الا ساليب المناسبة واذا توافرت له القيادة الحكيمة القادرة، ذلك لان العنصر الاساسي في حرب الشعب هو الانسان الثوري الطليعي الواعي وليس الجبال او الصخور او الغابات.

ان من ينظر الى فلسطين دون الجماهير العربية ودون الارض العربية، فانه لا يريد ان يحرر فلسطين، ولقد اعلنت (فتح) منذ انطلاقتها انها ثورة فلسطينية الوجه، عربية العمق، عالمية الجذور اي ان قيادتها كانت تدرك منذ البداية اهمية العمق العربي والامتداد العالمي.

ان الوجود الصهيوني في فلسطين لا يستهدف الشعب الفلسطيني فقط ولكنه يستهدف العالم العربي باسره ولم يكن اختيار الحركة الصهيونية لفلسطين صدفة ذلك ان فلسطين موقع استراتيجي هام في الوطن العربي. وهذا الموقع الاستراتيجي هو الذي اقنع بريطانيا بضرورة قيام الكيان الصهيوني من اجل حماية قناة السويس والمصالح الامبريالية الا خرى، وان تبني الولا يات المتحدة لدولة الاحتلال الصهيوني ليس ناتجا عن اهتمام خاص ببوصة على الخارطة اسمها فلسطين، انه اهتمام بمصير المصالح النفطية والمصالح الاستراتيجية الهائلة في المنطقة العربية.

ثم ان فلسطين جزء من الامة العربية شعبا وتاريخا وحضارة ومصيرا. والعدوان الصهيوني على فلسطين لن يترك الامة العربية حتى لو قررت هي ان تسالمه.

وما دامت قضية فلسطين قضية عربية، فان القتال من اجل استرداد فلسطين يجب ان يكون قتالا عربيا طليعته الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية، غير ان القرارات المتتالية للقمم العربية والقاضية باستبعاد الحرب وسيلة لا سترداد فلسطين وانتهاج الطرق السلمية من اجل ذلك اضطرت الشعب الفلسطيني ان يخوض المعركة وحيدا فكانت انتفاضته المباركة ضد العدو الصهيوني ووجوده والتي تتحول شيئا فشيئا الى حرب شعبية بكل ما في الكلمة من معنى.

ان حرب الشعب في فلسطين ستكون اكثر الحروب دموية وشراسة في التاريخ. ولهذا عدة اسباب، اهمها:

1. ان الاحتلال الصهيوني في فلسطين استعمار استيطاني، ومواجهة هذا النوع من الاستعمار ليست كمواجهة الاحتلال العسكري. وهذا الاستعمار لن يتنازل عن وجوده حتى لو تنازلت الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية، مع ان هذا غير وارد. وسيدافع عن هذا الوجود بكل الاسلحة المتوافرة لديه وبكل خبرة الاستعماريين وشراستهم.
2. ان الدوائر الصهيونية العالمية التي ساهمت مساهمة كبرى وفعالة في انشاء الكيان الصهيوني، قوة عالمية كبيرة، لها وزنها في السياسة الدولية والاقتصاد الدولي وفي شؤون الحرب والسلام.
3. وستظل هذه الدوائر تدافع عن الكيان الذي انشأته حتى تزيد من اهميتها لدى الدوائر الامبريالية العالمية لانها تدافع عن الكيان الذي يحمي مصالحها في المنطقة.
4. ان الامبريالية العالمية تعرف حق المعرفة ان قيام قوة في المنطقة العربية قادرة على مواجهة الكيان الصهيوني يعني سقوط الوجود الامبريالي في المنطقة، فاذا عرفنا اهمية المصالح الامبريالية في المنطقة، وخاصة النفط، عرفنا كيف ستقاتل الامبريالية دفاعا عن هذه المصالح.
5. ان تطور اسلحة الحرب التقليدية والتكنولوجية "غير النووية" والامكانات الكبيرة التي تملكها الصهيونية والامبريالية في هذا المجال ستزيد من شراسة الحرب، ومن امكاناتها التدميرية.

ولكن اية حرب شعبية تخوضها الامة العربية ستكون نتيجتها على المدى الطويل ايجابية. ويعود ذلك لما يلي:

1. ان رقعة العالم العربي واسعة وهي تمتد عبر ملايين الأميال المربعة وهذه الرقعة الواسعة لا يستطيع اي عدو خارجي ان يسيطر عليها سيطرة كاملة، حتى ولو كان هذا العدو الولايات المتحدة نفسها، فكيف اذا كان الكيان الصهيوني. وتتنوع التضاريس في الاراضي العربية تنوعا كبيرا السواحل الطويلة سلاسل الجبال السهول التلال الصحاري وتتخلل الارض العربية ايضا الانهار الكبيرة كالنيل ودجلة والفرات والانهار الصغيرة والوديان كما تغطي مساحات منها الغابات واخرى الاراضي المزروعة وسط ابعاد من الرمال والارض البوار. وتقف المدن عبر هذه المساحات واحات بشرية كثافتها السكانية عالية.
2. ان عدد سكان الوطن العربي اخذ يقترب من المائتي مليون نسمة وهذا العدد يجعل الامة العربية تأتي في المرتبة الخامسة في العالم من حيث عدد السكان بعد الصين، الهند، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية. وهذا العدد قابل للزيادة بسبب التحسن النسبي في شروط المعيشة.
3. ان امكانات الوطن العربي الزراعية والمعدنية كبيرة جدا كما يملك العرب اكبر احتياطي نفطي في العالم وتزداد اهمية هذا الاحتياطي بازدياد اهمية النفط. وازدياد حاجة الدول الصناعية المتقدمة له لا سيما اوروبا والولايات المتحدة.

   توفر هذه الثروات امكانات كبيرة لبناء الصناعة ووجود العملات الصعبة وشراء التكنولوجيا والاسلحة المتطورة.
4. ان الدول العربية تملك قوات عسكرية واسلحة حديثة. وتستطيع هذه القوات ان تساهم في معركة التحرير اذا توافر لها قيادة سياسية مخلصة ومصممة على القتال واذا ما اعيد بناؤها واعيد ترتيبها ان وجود هذه الامكانات يوفر ضمانات النصر الاكيد ولكن هذه الامكانات معطلة لعدة

عوامل اهمها:

- القيادات السياسية العاجزة او الخانعة او التابعة.
- التجزئة التي تجعل هذه الامكانات "متناثرة".

ان الحرب من اجل تحرير فلسطين لا بد ان تكون حربا شعبية ولكنها ستكون حربا نظامية ايضا، لان العدو لا يستطيع ان يسيطر على اراضي الوطن العربي كلها، وستكون الاراضي الغير مسيطر عليها قادرة على تجهيز الجيوش النظامية.

ولذلك فان العدو. (دولة الاحتلال والولايات المتحدة معا) سيحاول معالجة هذه المسألة عن طريق ما يلي:

- توسيع رقعة الاحتلال في حالة اتساع حرب الشعب وظهور بوادر على تحركات عربية نظامية جادة. وسيمتد الاحتلال الجديد الى سلسلة الجبال الشرقية من الاردن والى اواسط سوريا شمالا، وحدودها الشرقية مع العراق وسوف يلغي اتفاق كامب ديفيد ويحتل سيناء مجددا.
- وسيلجأ العدو الى تطوير اسلحته بحيث يكون قادرا على تهديد العواصم العربية خارج اطار احتلاله:- بغداد، الكويت، صنعاء، عدن، الرياض، القاهرة، طرابس، تونس والجزائر ليجعل هذه العواصم تحت رحمته.
- وسيلجأ العدو الى تحريك اعداء ثانويين ليثيروا اخطاراً مباشرة:- ايران في العراق والخليج، الحبشة في البحر الاحمر والسودان تركيا في سوريا.
- وسيعمل العدو على تثبيت التجزئة والانظمة وعلى اثارة الفتن الداخلية والصراعات المدمرة حتى لا تتوحد طاقات الامة العربية.
- وسيقوم العدو، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية بعمليات انزال عند الضرورة تمنع تحرك القوات في المناطق غير المسيطر عليها، وتستطيع عمليات الانزال البحري والجوي ان تشكل تهديدا كبيرا، بسبب امتداد الشواطيء العربية على مساحات واسعة من شواطىء البحر المتوسط. شواطىء الخليج العربي وبحر العرب، شواطىء البحر الاحمر، وبسبب عدم وجود عمق بشري وجغرافي في كثير من هذه المواقع.

وستكون حرب شعب ايضا، لان المناطق التي يسيطر عليها العدو يجب ان تشارك في القتال وحرب الشعب واحدة من اهم اساليب مشاركتها، كما انها تلعب دورا استراتيجيا في مساعدة القوات النظامية خلف خطوط العدو.

ان هذا يقتضي ان تتنامى الانتفاضة الفلسطينية في الداخل وأن يتسع نطاق فعالياتها كل يوم بحيث تنتقل الى مرحلتها قبل الاخيرة والاخيرة، ويقتضي ايضا ان تتصاعد حركة الجماهير العربية الهادفة الى تحقيق تحرير فلسطين ومن اجل تحقيق الوحدة العربية فتحرير فلسطين طريق الوحدة، وليس العكس. وسوف تنتصر الامة العربية في هذه الحرب لانها حرب عادلة وستنتصر اذا ما عبأت الجماهير العربية تعبئة ثورية واذا ما استخدم التكتيك المناسب والاستراتيجية المناسبة، وستنتصر اذا كانت الامة على قلب رجل واحد.

دور المنظمات الجماهيرية الشعبية في حرب الشعب ومهماتها:

عرفنا ان النضال في حرب الشعب يعني العمل الدؤوب لزيادة فعالية الجماهير وعطائها، واضعاف جبهة العدو وتفكيكها، ولا يمكن ان ينحصر هذا النضال في الامور العسكرية البحتة بل يشمل النضال السياسي والاجتماعي وتداخل جميع هذه النضالات في التكتيك المرحلي، اي ان نضالا ضد العشائرية والمحسوبية، مثلا، يساعد على تقوية التنظيمات السياسية، والعسكرية والجماهيرية كما ان النضال السياسي على شكل مظاهرات واعتصامات واضرابات يقوى من تحدي الجماهير للعدو والقوى المضادة للثورة.

ومن الممكن ان تساعد عملية محو الامية على تثقيف الجماهير وتعبئتها، كما ان النضالات النقابية المطلبية تساعد على تحسين الوضع المعيشي للعمال وتقوي ترابطهم باتحادهم مما يساعد على تصعيد الدعاية والتحريض بين قطاعاتهم الواسعة وخلق كوادر خليقة بالعمل والتحريض الجماهيري.

وللمنظمات الشعبية في حرب الشعب دور كبير ومهمات متعددة نوجزها فيما يلي:

1. **المهمات السياسية:**

ويشمل هذا لنشاط جميع المنظمات الشعبية والجماهيرية وتجسد التزامها بالثورة.

- أ- تنظيم الاكثرية العظمى من قطاعاتها ذات المصلحة بالتحرير، تحقيقا لتنظيم جماهيري شعبي واسع مرتبط عضويا بالتنظيم السياسي. يعبىء هذه الجماهير ويستقطب مزيدا من عناصرها للعمل السياسي والعسكري.
- ب- تحديد عدد كبير من المهمات المرتبطة بالثورة يستثمر مجهود كل فرد من قواعدها.
- جـ- مساعدة التنظيم السياسي على معرفة مشاكل الجماهير ليتخذ الخطوات اللازمة لحلها مما يدفع الجماهير الى مزيد من العمل والعطاء.
- د- تدريب الكوادر السياسية الملتحقة بالعمل الجماهيري للتصدي لمشاكل الجماهير، خصوصا في الظروف الطارئة الناجمة عن الاعمال العسكرية وشراسة العدو، وتحمل اعباء العمل الوطني وبناء الدولة بعد التحرير.
- هـ- تدريب عناصر جديدة من المنظمات الجماهيرية الشعبية على العمل القيادي وذلك من خلال النضال والعمل الجماهيري ويستقطب قسم من هذه العناصر للعمل السياسي-العسكري.
- و- توفير جو ملائم للعمل الدعائي والتحريض بين الجماهير.
- ز- تعويد الجماهير على نشاط عام جديد يزيد من طاقات الشعب خصوصا في الاراضي المحررة ويمهد لمجتمع ما بعد التحرير، ويدخل ضمن هذا العمل محاربة القيم البالية وتوطيد قيم ومسلكية جديدة.
- ح- كسب عناصر مهنية متخصصة تدعم العمل العسكري وتنتسب اليه او تتطوع مرحليا لتعمير المرافق المرتبطة بقواعد الارتكاز (تحصينات- مواصلات- صيانة...)
- ط- اضافة الى تنفيذ المهمات السياسية المطلوبة منها من قبل التنظيم السياسي-

العسكري، عليها ايضا تمثيل الجماهير في المجالس الوطنية والمحلية والثورية، والنضال للحصول على نسبة من التمثيل العددي يتناسب وحجمها الفعلي مما يجعلها تشارك فعليا في توجيه العمل الوطني.

2. **المهمات الاجتماعية:**

وتشمل جميع المنظمات الجماهيرية الشعبية الاساسية مع مراعاة التخصص والتنسيق.

- أ-خلق اطر تنظيمية جماهيرية مغايرة للا طر التقليدية (العشائرية وعلا قات الجوار والاقطاع يساعد على تحرير الفرد من التقاليد البالية والمتعارضة مع متطلبات الثورة والتقدم، وتساعد هذه الاطر على خلق المناخ الملائم لتطوير الفرد ذاتيا واجتماعيا.
- ب- تعويد الجماهير على الديمقراطية لزيادة مبادراتها الجماعية.
- جـ- تطوير امكانات الفرد الذهنية والثقافية ليستطيع الاشتراك بشكل فعلي وفعال في عمل الجماعة وتطويره. ويكون هذا العمل متمما لاعمال المؤسسات التربوية كالمدارس والجامعات والمعاهد، ويدخل ضمن هذا النشاط التثقيفي المبرمج (مثل محو الامية وتعليم الكبار وتربية الشبيبة وتدريب الاشبال والزهرات....) والتثقيف غير المبرمج (مثل القرارات والنقاش المنظم والندوات).
- د- تعويد عدد كبير من الاشخاص على تحمل المسؤولية والتمرس على التخطيط وعقلنة التنفيذ.
- هـ- تعويد الجماهير على التعاون لحل المشاكل الاجتماعية العائلية والنابعة عن ظروف النضال.
- والعمل على تخفيف الاعباء على الافراد ليستطيعوا المشاركة بشكل احسن في الحياة العامة.
- و- توعية الجماهير على محاربة العادات السيئة والاهتمام بالنظافة والصحة العامة.
- ز- تنظيم برامج وحلقات لتدريس الكوادر على جميع المستويات لرفع مستوى الوعي السياسي- الاجتماعي والكفاءة النقابية والارتقاء بالعمل الجماعي.

3. **المهمات الاقتصادية- المهنية:**

وهي مرتبطة اساسا بالمنظمات الشعبية الاجتماعية- المهنية والاقتصادية:

- أ- معرفة مشاكل الجماهير المعيشية المادية والسعي الى حل هذه المشاكل بشكل يخدم الثورة مثل النضال النقابي المطلبي.
- ب- دعم الثورة ماديا من خلال اشتراكات الاعضاء وتبرعاتهم ورفع الانتاج وعقلنة الاستهلاك في الاراضي المحررة، او لدى التجمعات السكانية الخاضعة لسلطة الثورة.
- جـ- توجيه التدريب والتأهيل المهني لخدمة اعضاء الاتحادات ورفع كفاءتهم الانتاجية خدمة لحرب الشعب وعملية البناء بعد التحرير.

- د- المساهمة ماديا وبشريا في بناء وتحسين واعادة تعمير التجهيزات الاساسية في المناطق التي تشرف عليها الثورة مباشرة او غير مباشرة. مثل المدارس والطرقات والمجارير والابنية السكنية او الخاصة بالنشاطات العامة.
- هـ- انشاء التعاونيات الاستهلاكية والانتاجية لزيادة المقدرة الاقتصادية للجماهير دعما للوثرة وتخفيفا عن كاهل الجماهير المعيشية، وتحقيق مقدرة على الصم.
- و- تنظيم مكاتب عمل تتوسط في تشغيل القوى العاملة العاطلة وتوجيه القوى العاملة الفنية الى وظائف تتلائم مع تخصصها بدلا من تبديد كفاءتها في عمل غريب عن هذا التخصص وقليل المردود.
- ز- تنظيم حلقات البحث المهنية والمتخصصة لدراسة المشاكل الاقتصادية والتقنية التي تجابه الجماهير والثورة لوضع حلول آنية وبعيدة المدى، مثل بناء الملاجىء والتحصينات حسب ظروف الحرب المستجدة، توزيع وحدات الخدمات خلال تغيير تكتيك النضال العسكري والسياسي... ودراسة تطوير التعليم والتربية عامة وتطوير التعليم والتأهيل والتدريب المهني.

هذه هي مهمات المنظمات الشعبية في الاراضي المحررة او التي تشرف عليها الثورة فهل تتحمل المنظمات الشعبية نفس الاعباء في الاراضي المحتلة؟؟

قد لا يسمح لهذه المنظمات العمل بشكل صريح في الاراضي المحتلة مما يدفعها ويدفع العمل السياسي الى ايجاد اشكال مختلفة من العمل، تبدو شكليا غير ملتزمة سياسيا، ولكن تحقق الكثير من المهمات المختلفة احيانا عن المهمات في الاراضي المحررة. ويجب الاخذ بعين الاعتبار نوع الاحتلال ونوع النظام المعادي.

ففي المجال السياسي: على المنظمات الجماهيرية التعاون مع التنظيم السياسي لتوفير اطر تنظيمية تشمل اكبر قدر ممكن من الجماهير، معرفة اوضاع ومشاكل الجماهير في ظل الاحتلال تدريب كوادر تتصدى لهذه المشاكل، اعطاء غطاء رسمي للعمل السياسي- النضالي دعم العمل التحريضي، كسب كوادر ومناضلين للعمل السياسي- العسكري، تعويد الجماهير على نمط جديد في النشاط العام.

وفي المجال الاجتماعي: تستطيع المنظمات الجماهيرية الشعبية وبأشكالها المتعددة والمتغيرة تحقيق معظم الاعباء المذكورة في نطاق المهمات الاجتماعية الخاصة بالاراضي التي تشرف عليها الثورة.

اما في المجال الاقتصادي- المهني: تسعى المنظمات الشعبية الجماهيرية، وحسب الظروف الى تحقيق قسم من المهمات المكذورة في نطاق المهمات الخاصة بالاراضي التي تشرف عليها الثورة ساعية طورا الى دعم الاقتصاد الوطني امام الاستغلال الاستعماري وطورا آخر تخريب المؤسسات الاستعمارية مع رعاية للعمال الوطنيين.

وحدها الظروف الموضوعية تستطيع تحديد المهمات والنشاطات في الاراضي المحتلة الا انها تدخل ضمن نشاطات وممارسات الحركة الوطنية والثورة لتثبيت وجودها السياسي وكسب الجماهير وتجنيدهم في المقاومة والانضمام الى الثورة ولنا في انتفاضة شعبنا المباركة خير دليل على صحة هذا الطرح.

المراجع :

1. ناجي علوش:- حرب الشعب وحرب الشعب العربية.
2. نبيل بدران وعدنان عبد الرحيم:- واقع وآفاق عمل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية.
3. لي زوان:- الثورة الفيتنامية المشاكل الرئيسية والمهمات الرئيسية.
4. هوشه منه:- حرب التحرير الفيتنامية.
5. يوسف شحاة:- الواقع الفلسطيني والحركة النقابية.